

الفصل الثامن

خميس مشيط^(١)

لقد تحاشينا المسيل الصعب الذي عن طريقه يدخل شعيب شدا إلى وادي شاع المواجه لخبير^(٢) ووصلنا إلى مستجمع الأمطار عند المسيرق. اتجه طريقنا الآن إلى شعيب شدا عبر المضائق، وتعمقنا في هذا المجرى مسافة ميلين إلى جنوب مرتفع معو. تأكد لنا الآن أنه أسوأ قطعة أرض تسلكها السيارات حتى هذا الموقع. كنا بلا شك في مناطق غزيرة الأمطار، على الرغم من أننا لا نزال عند السفوح الجبلية للبلاد، شيئاً ما ناحية الغرب من الجبال العظيمة، ولم يكن وادي شدا هذا فقط محفوراً بكثافة بواسطة السيول، ولكن بطنه كان مملوءاً بالشجيرات الخفيضة. وكانت قيادة مضمّنة أن نتصادم داخل سياراتنا ونحن في هاتين العقبتين. يجري الوادي شمالاً وجنوباً ومجرى سيّله عريض متعرج مكوّن من رمال وحصى وكان عرضه في المتوسط، ما بين (١٠٠) و (١٥٠) ياردة.

اتسع الوادي تدريجياً أثناء صعودنا لمجره، وقد توقفنا عند إحدى النقاط لوضع زوج من طيور الرقراق (سمق) في حقيبة العينات. وبعد قيادة مسافة (١٢) ميلاً، وكانت صعبة في بطن هذا الوادي حيناً وعلى أي من جانبيه حيناً آخر، كنا نبحت عن شريط قليل المقاومة وخرجنا أخيراً إلى واد واسع، كان -أيضاً- صعباً جداً؛ لنجد أنفسنا عند تقاطع الطريق. كان الطريق اليسار والمتجه إلى الشمال

(١) لمزيد من الإيضاحات عن منطقة خميس مشيط، أو بلاد شهران التي حاضرتها مدينة الخميس، انظر: عبدالكريم عائض آل طالع. قبيلة شهران بين الماضي والحاضر. (د.م/ د.ن / ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)

ص ٢٢ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) خبير مركز يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة خميس مشيط ويتبعها إدارياً. (ابن جريس).

الشرقي هو طريق نجران الرئيس، الذي سنسلكه في الوقت المناسب. ويهمننا الطريق الذي يقع إلى الجانب الأيمن، الذي يقود عبر شعيب الجحف إلى خميس مشيط وما يليها، وإلى أبها نفسها عاصمة منطقة عسير.

ارتفع الهرم الكامل لقرن ذلك البركان الخامد القديم، إلى مسافة منا وعلى يسار طريق نجران. كما ارتفع إلى البعيد، ناحية الجنوب الشرقي، جبل القعمة من سلسلة جبال السراة الرئيسة^(١). وبرز ناحية الجنوب الغربي - أيضاً في السرات - تل يذكرونا بقرنيت كما يرى من الطائف.

أما شعيب الجحف الذي يبدو كأنه امتداد مرتفع لشدا فهو يأتي منحدرًا من منبعه من عند تل يسمى مثو إلى جنوب الجنوب الشرقي، ويقع أمامنا على طريق أبها، أرض كبيرة من قمم جرانيتية وجملايد. وتوجد إلى ناحية جنوب الجنوب الغربي السلسلة الطويلة العالية التي تسمى أحد، وهي مناطق ريفية التابعة لقحطان^(٢).

كنا عند تقاطع الطريق هذا على ارتفاع (٧٠٠) قدم فوق خيبر، وحوالي (٣٠٠) قدم أو ما يقارب ذلك فوق قمة المعو. كنا نصعد باعتدال طيلة الوقت.

انغرزت إحدى سيارتنا في رمال بطن الجحف، وأضعنا بعض الوقت في إخراجها، وقد أصبح الوقت متأخراً بعد الظهر. عبرنا الفاصل المنخفض بين

(١) جبال السراة وجمعها (السروات) وهي البلاد الممتدة من اليمن حتى بلاد الحجاز، وربما أطلق عليها أيضاً (جبال الحجاز) وللمزيد من التفصيل، انظر: عبدالله الوهبي. (الحجاز كما حددها الجغرافيون العرب) مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ج١، ص (١) ص ٥٣ - ٧٠؛ ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٢ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) أحد ريفية من المناطق الرئيسة في بلاد قحطان وهي تقع إلى الجنوب من خميس مشيط، وعلى الطريق الذي يربط بين الخميس ونجران. (ابن جريس).

الجحف وروافده، على مسافة أربعة أميال فيما يلي التقاطع وذلك بعد عبورنا المسيل قبيح شديد الانحدار ورملي، يسمى المديد، ويقع وادي الحنجور أمامنا الآن.

عبرنا هذا الوادي بعد قيادة استمرت ثلاثة أميال فوق بطن سيل رملية، ضيقة مغطاة بالقصب وجنات النخيل القصيرة وعدد كبير من أشجار التين البري -الحماط- كانت نامية بين الصخور الجرانيتية والجلاميد على كلا الجانبين. كان الوقت الآن يقترب من الخامسة مساء، وقد أحسست بالتعب؛ لذا قررنا أن نعسكر هنا لقضاء الليلة في هذه البقعة الجذابة.

اتضح لي حقيقة أنني أكثر من مجرد امرئ مرهق فقط. فما أن تخفف عني ضغط القيادة في هذه البلاد الصعبة، حتى أحسست بالقشعريرة تملكني، وقد امتدت أصابعها وبدأت أرجف فجأة كأوراق شجر الحور التي ترتعش إذا هب عليها النسيم. ودخلت تحت ملاءات سريري بملابس النوم كي أنام للتخلص من الحمى بمساعدة دواء الإسبرين، ولحسن الحظ فقد كانت نوبة الحمى خفيفة، والتي أملت عليّ أن أنام طويلاً حتى الصباح. لم أقبل العشاء حينما أحضر إليّ، ونزعت من ذهني كل تفكير في ملاحظة الفلك. يكفيني هذا في هذه الليلة التي حطّ عليّ فيها المرض وصحوت مبكراً، نشيطاً وعلى أتم استعداد لمواصلة أنشطتي المعتادة.

وشاهدت بعض الأبقار ترعى الأعشاب الغنية داخل المجرى وصوله، ومن المعتقد أنها وصلت من قرى تندحة وهي ليست بعيدة من هنا^(١). حتى التين البري

(١) تندحة عبارة عن واد يبلغ طوله حوالي (٣٠) كم، ويوجد به العديد من القرى، والتي من أهمها: - آل الذيب، وآل عمجير، وآل حجاج، وآل مستنير، وآل الزلال، وآل الصدر، وآل يعلا، وآل دبابه، وآل التوم (آل جميل)، وآل زاحمة، وآل سويد، وآل عياش، والفيض، والحوطه. ومعظم سكان وادي تندحة يعدون في قبائل شهران العريضة، ويمتاز هذا الوادي بوفرة مياهه، وكثير متوجاته الزراعية. (ابن جريس).

كان له زبائنه من الطيور، خاصة السوادية، وهذه علامة مؤكدة على قربنا من المرتفعات الحقيقية، كما شاهدت يمامة، وهي من نوع جديد بالنسبة لي ويميز لمنطقة اليمن والحبشة. كما قمت بوضع جرد في كيس العينات كان يتحرك فوق صخور جرانيتية. وصلت إلى المعسكر في هذه الأثناء سيارتان لمجموعتين صغيرتين من أتباع الأمير فيصل برئاسة عثمان بن عثمان، في طريقهما إلى أبها. لقد غادروا السيل في اليوم الثلاثين من الشهر، ورنية في اليوم التالي وبيشة في الأول من يونيو ليصلوا إلى معسكرنا في تمام الساعة الثامنة صباحاً في اليوم الثاني من يونيو - سفر جيد ولكنه كان صعباً بالنسبة لسياراتنا. أستطيع أن أرى جبال تية التي تقع وراء أبها^(١)، من رأس أعلى قمة جرانيتية في هذا الجوار - ترتفع إلى (٥,٥٠٠) قدم فوق سطح البحر-، والتي يقال إنها تقع على الجانب القريب لتل منزل يسمى ضرة الذي يمكن -أيضاً- رؤيته في الاتجاه نفسه -غرب الجنوب الغربي-. تواصلت سلسلة جبال أحد في الجنوب الغربي -الحاجز الدائري- مع تل هرمي بارز يسمى ضمك وتقع في السهل أمامه وبالقرب من المرتفعات العليا لمجرى وادي بيشة. تقع سلسلة جبال الصنعة إلى الجنوب الشرقي، وهي سلسلة غير مميزة، جرانيتية فيما وراء القفر المنتشرة فيه الجلاميد والذي يمتد أمامنا، ويعرف بالهضب. تستمر سلسلة جبال القعمة إلى جهة الشرق لتواصل الحاجز الجبلي الرئيس. وينحدر من هذا الاتجاه شعيب الحنجور ليواصل سيره ناحية الجنوب الغربي (تجاه بيشة) ماراً بمعسكرنا. وتقع فوهة القرن إلى الشمال منا.

(١) جبال تية: تقع إلى الشمال من مدينة أبها، وتوجد بها عقبة شعار التي يخترقها طريق معبد يربط أبها بمحافل عسير في تهامة، ومن هذه الطريق يتم الوصول إلى مكة المكرمة عبر الأجزاء التهامية. (ابن جريس).

اكتشفنا مع استمرار رحلتنا، أن الحنجور يتصل مع تندحة على بعد ميل واحد إلى أسفل، وليعود بعد فترة من سلسلة جبال القعمة وينساب ناحية الشمال الغربي قليلاً من هذا الموقع إلى داخل بيشة. اخترنا بعد عبورنا هذا أرضاً صعبة تعبره وتتقاطع معه، خطوط تصريف صغيرة مغطاة وبكثافة، بنبات القصب (النمص)، إلى أن نصل مجرى تندحة - هذا غير تندحي المتقدم - الذي وصلنا عبره، وعلى بعد نصف ميل إلى قريه تندحه، وفيما يليها إلى قرية أخرى تسمى القرارة تقع في مجرى يحمل الاسم نفسه وينحدر من سلسلة جبال الصنعة.

كان يوجد بعض الماء في المجرى، وفي الموقع الذي عبرناه فيه كانت هنالك بقعه كبيرة ذات مروج ترعى فيها أغنام وأبقار. يتصل مجريا القرارة وتندحة قليلاً أسفل القريتين اللتين يحملان اسميهما، وتعلم المجرى المتحد عدد من قرى أخرى، تجاه وادي بيشة هي: غيشان، وآل حجّاج، وآل أزلال، آل مستنير، والحوطة، بهذا الترتيب تتابع إلى أسفل على مسافات من نصف الميل حتى الحوطة، وفيما يلي هذه، فلا توجد قرى في مجرى الوادي إلى أن يصل إلى قرى بيشة التي تم ذكرها سابقاً. تنتمي القرارة إلى قبيلة ناهس التابعة لشهران، وكل القرى الباقية إلى كود.

سرنا فوق سهل ضخم منحدر، فيما يلي القرارة، كانت عليه بروزات وقمم جرانيتية، تذكرنا باقتراب الطائف. كما وقفت إلى ناحية الغرب تلك الجبال العظيمة التي يزداد وضوحها كلما اقتربنا منها، كما يمكننا الآن رؤية كل الامتداد للحجاز من عند فجوة أبها (ضيره) تجاه غرب الجنوب الغربي إلى فجوة أخرى تجاه غرب الشمال الغربي والتي شمخت من خلفها الكتلة البارزة لتلال شعار، معلمة الموقع الذي عبره يمر واحد من أعظم الطرق التجارية بين أبها ومواني البحر

الأحمر، والذي يصل إلى قمته في هذا المكان. يتم تصريف هذا السهل-الهضبة، المنحدر والذي ناسف فوقه الآن، عن طريق حوض منخفض يسمى الشَّرَف^(١) والذي يميل تدريجياً تجاه ناحية الطريق المنحدر الذي نسلكه الآن للوصول إلى وادي بيشة.

كان المنخفض مكسوياً بغطاء نباتي وشجيرات خفيضة وبعض أشجار الطلح التي شاهدت فيها بعض الطيور، وكثيراً من العصافير المغردة، إلى جانب القنبرة المتوجة. عبرنا فوق الجانب الأيسر للمنخفض لنواصل السفر فوق سهل جرائتي مماثل -والذي من ورائه- وبعد أن غطينا مسافة ثمانية أميال من القرارة، بدأت تظهر أمامنا أول علامات القلاع العظيمة والمباني لحميس مشيط. وصلنا إلى قصر أبو ملحمة بعد دقائق من منتصف النهار، بعد أن غطينا، ١٤ ميلاً من معسكر الحنجور فقط، (٥٠) ميلاً من عند خيبر. وبالضبط كانت المسافة من الروشن (١٤٨) ميلاً^(٢)، غير أن المسافة عن طريق الوادي من الروشن إلى خميس مشيط ربما كانت لا تزيد عن ١٠٠ ميل، والأخيرة هذه ربما كانت على ارتفاع (٢٥٠٠) قدم أعلى من الروشن، وكان متوسط الارتفاع هو (٢٥) قدماً لكل ميل.

ما يدهش فيما يخص السفر في صحراء الجزيرة العربية، أن المرء قد يجد نفسه فجأة، حين وصوله إلى أي من الواحات العظيمة قد أصبح محاطاً بكل أدوات الحضارة عالية التطور. من حيث الأساس، فإن ثقافة كل القرى في المناطق

(١) كان الشَّرَف منطقة رعي لبعض عشائر شهران أثناء زيارة فيليبي للمنطقة، والآن هي موقع القاعدة الجوية

بمنطقة خميس مشيط. (مقابلة مع الأستاذ إبراهيم بن محمد بن فائع الألمي) (ابن جريس).

(٢) المسافة اليوم بين بيشة وخميس مشيط حوالي (٢٣٠) كم على طريق معبدة. (ابن جريس).

متشابهة، غير أن لكل منطقة خصوصيتها - يستطيع المرء أن يميز شخصية كل منطقة عن المناطق الأخرى. ويوجد بصفة عامة خط قاسم عريض بين مناطق الشمال (نجد وتوابعها) وتلك التي في الجنوب. كانت بيشة - وهي ما يخصنا في هذه الرحلة - آخر ما يمثل الحضارة الشمالية، على الرغم من أن منظر السوق هناك - كما ذكرت - كانت له مسحة واضحة لنمطه الجنوبي. كانت خميس مشيط - بالتأكيد - أول المناطق «الجنوبية» في طريقنا^(١).

لم اذكر خبير لأنها ليست بذات أهمية، على الرغم من أنها قد عاشت أياماً أحسن، وكان اكتشافها للنقوش الثمودية هناك يشرح الصلة مع حضارة سابقة في المرتفعات في تضاد مع حياة البدو الأمية في الصحراء. ربما لم يكن لحياة البادية الضاربة في التاريخ أداة معرفة بالقراءة والكتابة مطلقاً. وجواهر شعرها، التي قيلت لهواء الصحراء قد اختفت إلا من جزء يسير تم الحفاظ عليه بالصدفة بعد مولد الإسلام. بينما في القرى والمدن، من الجهة الأخرى، فإن النقوش الحميرية والسبئية أذكت الطموحات الأدبية ليقود هذا إلى ظهور الأبجدية التي كانت ميسرة لنقل السجلات الأدبية وغيرها من السجلات من جيل إلى جيل. على أي حال، فإن أول نقش كتابي - حقيقة - أصبح معروفاً لدينا، هو اختراع جاء به الفينيقيون الذين كانت أصولهم، من هذه المدن الجنوبية الغربية في جزيرة العرب القديمة^(٢).

(١) خميس مشيط: اسم يطلق على المحافظة وعلى المدينة التي أصبحت من المراكز الحضارية العصرية في المملكة ومن الأسواق التجارية الهامة. (ابن جريس).

(٢) من يتجول في المناطق الجنوبية من المملكة العربية السعودية فإنه سوف يشاهد الكثير من النقوش والرسوم التي تعود إلى العصور الثمودية، والفينيقية، والحميرية والسبئية، وتحتاج إلى من يدرسها دراسة علمية أكاديمية ونحن نادي الأخوة الأثاريين المتخصصين داخل البلاد وخارجها إلى أن يلتفتوا إلى هذه الكنوز العلمية الثمينة فينقبوا عنها وتُدرس بطريقة علمية جادة. (ابن جريس).

بشر عثمان باقترابنا، وكان قد سبقنا من الحنجور ومنحنا باستقبال أميرى عند بوابة القصر الكبير من قبل أبناء مضيفنا الثلاثة، وهو عبدالوهاب أبو ملححة^(١) الذي كان حينها متغياً في أبها فيما يخص واجباته كمفوض مالي لكل المنطقة، التي تضم خميس مشيط، وقرى تندحة ومجموعات من قرى أخرى عند السفوح الجبلية. كان الشيخ الأعلى لعموم قبيلة شهران، هو سعيد بن مشيط، من قبيلة آل رشيد والذي كان مسكنه قصرأ مهيباً عند النهاية في أعلى الوادي لمنطقة خميس مشيط، بالتحديد في قرية تسمى ذهبان وقد زرته فيما بعد أثناء إقامتي في هذه الأنحاء. يملك كل القرى والأرياف الصغيرة لخميس مشيط^(٢) - وهذا يعني سوق الخميس لمشيط^(٣) - كنية الشيخ الإسمي للأسرة الحاكمة - أناس من قبيلة آل رشيد التابعة لشهران الذي ينتمي إليه مضيفي أبو ملححة.

على الرغم من أن أبناء الثلاثة عبدالله، وعبدالعزيز، وسعيد كانوا كلهم قاصرين إلا أنهم استقبلونا بالأخلاق التي ولدوا بها بفطرة أرسطوقراطية طبيعية

(١) عبدالوهاب بن محمد أبو ملححة من رجالات الملك عبدالعزيز، تولى أمور المالية في المنطقة الجنوبية من عام (١٣٤٢ - ١٣٧٤هـ)، وقد شارك في عدد من المهام مثل: - رسم الحدود بين اليمن والسعودية، والمشاركة في عدد من الحروب بين السعودية واليمن. للمزيد انظر: عبدالرحمن السبيت. رجال وذكريات مع الملك عبدالعزيز (الرياض: رئاسة الحرس الوطني ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ٢٤٠ - ٢٥١، ابن جريس، صفحات من تاريخ عسير، ١، ص ١٢٩ - ١٤٥. (ابن جريس).

(٢) لقد وقع فيلبي في خطأ والتبس عليه فهم حقيقة الأمر، فالقرى والأرياف في خميس مشيط ملك لأصحابها، وأملاك الأمير، سعيد بن مشيط مقصورة على أملاكه الخاصة، وهي قليلة جداً مقارنة بالقرى والأرياف كما ذكر فيلبي. (ابن جريس).

(٣) الخميس لمشيط: حقيقة الأمر أنه كان يطلق على السوق الأسبوعي الذي كان يقام يوم الخميس من كل أسبوع ويقال له سوق الخميس، أو سوق موجان أو سوق ابن مشيط كناية على أن سعيد بن مشيط شيخ شمل قبيلة شهران يتولى توفير الأمن لمن يرتاد ذلك السوق حسب الأعراف التي كانت تشمل جميع أسواق المنطقة بصفة عامة، وهذا لا يعني أن شيخ القبيلة يملك السوق، وقد التبس الأمر على المؤلف، والسوق أساساً كان ولا زال ملكاً للقبيلة. (مقابلة مع الأستاذ/ إبراهيم محمد فائق الألعجي) (ابن

لديموقراطية الجزيرة العربية، والتي كانت من عدة وجوه مذكرة لنا بديموقراطية الإغريق القدماء حتى إلى مستوى العبيد والرقيق لتلك الحقبة العظيمة^(١)، وحتى إلى عزل النساء. قادنا عبدالله، أكبر الثلاثة وهو صبي جميل في السادسة عشرة من عمره، إلى الطابق الأول من قصره، الذي توجد فيه غرف الضيافة الرئيسة وهي مكونة من: غرفة كبيرة أرضيتها مغطاة جيداً بالبساط، وغرفة رسم أصغر، مغطاة أيضاً ببساط ممائل، ويخرج منها المرء إلى غرفة حمام واسعة ومؤثثة بأسلوب بسيط، متصل بها مرحاض ذو الأخدود المألوف والثقب في الأرضية.

أخبر عثمان مضيفنا أن يتوقعونا عند الساعة الحادية عشر صباحاً وقد رحب بنا محبوب^(٢) وهو العبد المنزلي الرئيس وكبير الخدم بعد ساعة، حاملاً معه الأخبار بأن الغداء جاهز. جلسنا، في هذه الأثناء، نتبادل شرب القهوة والشاي ونتحدث مع مضيفنا الشباب، - بالمناسبة فقد تم إشعال مجمرة ضخمة لراحتنا^(٣) - غير أنني قد توسلت لإبعادها حيث إن الطقس دافئ أكثر من اللازم - حوالي (٩٠) درجة في الظل من الخارج وباردة في الغرفة دون حاجة للنار - وظللنا مشغولين هكذا إلى الساعة الثانية مساءً دون ظهور أي علامة لوجبة غداء قادمة. تطل نوافذ هذه الغرفة على أحد الجوانب على ساحة داخلية، حيث تحفظ الحيوانات المستأنسة، ومن الجانب الآخر، إلى الخارج، تطل النوافذ على عدد من

(١) هذه وجهة نظر فيلبي، ويُعذر على هذا التشبيه كونه عاش وتربى في مجتمع غربي يختلف في طباعه عن مجتمعات الجزيرة العربية في عاداتها وأعرافها. (ابن جريس).

(٢) محبوب: أحد موالي الشيخ عبدالوهاب أبو ملحمة المناط به خدمة الضيوف. (ابن جريس).

(٣) المجرمة: - يسمى في عرف أهل البلاد بـ (الصلل) إذا كان ثابتاً، وإذا كان متحركاً، أي مصنوع من النحاس، سمي كانوناً. وكلا النوعين يُحرق فيهما الفحم أو الحطب لغرض التدفئة وإبقاء أواني القهوة والشاي في حالة من السخونة الدائمة لغرض الاستعمال أطول وقت ممكن. (ابن جريس).

القصور ناحية الشمال، والتي تكوّن قرية العرق، بالإضافة إلى القصر الذي نحن فيه الآن. لاحظت وأنا أتطلع إلى هذا المنظر حديقة بجوار القصر، وأعتقد أن مضيفنا قد ارتاحوا كثيراً لاقتراحي أن نقوم بزيارتها في انتظار الغداء.

وهكذا انطلقنا بنشاط ووجدت نفسي في حديقة فواكه صغيرة ولكنها مزروعة بكثافة بأشجار فواكه مختلفة. كانت الفاكهة الوحيدة التي يمكن أكلها في هذا الوقت هي المشمش الذي كان من نوعية ضعيفة، إلى جانب بعض التفاح الحالي من الطعم، ومع هذا فقد التهمناها بشراهة أثناء تجولنا لجمع الطيور والفرشات، وكانت مطاردة اشترك فيها الصبيان بشغف. احتوت الحديقة أيضاً على خوخ، ورمان، وتين، وسفرجل، وشجرات التين الشوكي، وعنب معرّش، ولكن نتاجها لم ينضج بعد. كان المكان مملوءاً بالعصافير بينما احتوت حقيقتي لفترة ما بعد الظهر على طائر أبلق من جنوب الجزيرة وأبيض العين الجذاب. وتحصلت كذلك على حرباء كبيرة زرقاء تسمى محلياً وحر.

دُعينا أخيراً لتناول الغداء، وكانت وجبة ممتازة، وخاصة خبز البر لم نذق أحسن منها إطلاقاً. وألحّ علينا مضيفنا أن نقضي الليلة في المنزل، غير أنني فضلت -كعادتي دائماً- أن أقضي الليل في الفضاء حتى أقوم بجمع الحشرات ودراسة الفلك، وكان معسكرنا قد أقيم على أرضية درس الحبوب التابعة للقرية، وهي أرض كبيرة مسطحة مستديرة، مكسوة بالإسمنت المحلي، ونظيفة إلى درجة الجمال^(١). كان علينا أن نغادر في اليوم التالي لتتحاشى أي ضرورة تتطلب عودة عبدالوهاب من أبها، غير أنه قد تم الترتيب لنا بقضاء يوم آخر في خميس مشيط

(١) وهذا المكان يسمى بلهجة أهل البلاد (الجرين) وغالباً تكتب (الجيم) (ياء) فيقال: (اليرين)، وقد يطلق عليه أيضاً (البيدر)، وهو مكان درس الحبوب وتنقيتها من التبن أو القصب. (ابن جريس).

بعد عودتنا من العاصمة في طريقنا إلى نجران. لقد أمضينا، ليلتين هنا في تلك المناسبة (١٤ و ١٥ يونيو)، ولما كانت الفرصة أكبر لاستكشاف كل المناطق المجاورة، فقد كان من المناسب أن أضمن كل معلوماتي عن هذه الواحة الممتعة في هذا الفصل. يخصص الطابق العلوي والسطح في هذه القصور الفارحة لحريم المالك ولكن، وقريب جداً من قصر عبدالوهاب، يوجد قصر آخر طويل، يبدو أنه مؤجر لخدم الحقل، واستجابة لطلبي أن أقوم بمسح المنطقة من موقع مرتفع، فقد أذن لي بالصعود إلى سطح هذا البناء بعد إبعاد امرأة أو امرأتين من الغرف العليا. يطل البناء من السقف، على منظر جميل للواحة وما حولها.

أكثر ما يلفت النظر حول هذا المكان أنه خالٍ من أشجار النخيل، أو أن ما يوجد منها قليل وبائس، ذلك لأننا على ارتفاع يفوق ذلك الذي تكون عنده مزارع النخيل مريحة. كما لا يوجد الكثير من الجنائن وحدائق الفاكهة، على الرغم من أنه في هذه الأوقات قام المواطنون الأثرياء في خميس مشيط ببذل جهد خاص لإنشاء مثل هذه الرفاهيات. كانت زراعة الحبوب هي الصناعة الرئيسة لهذه المنطقة، بالذات القمح كمحصول ربيعي (صيف مبكر)، والدخن (ذرة) في الخريف والبرسيم. تغطي مزارع الذرة الصفراء، التي تم حصادها في هذا الوقت بالطبع، مساحات واسعة على كلا الجانبين لبطن مجرى وادي بيثة الواسع الرملي وروافده المحلية التي تروى بواسطة السيول وجزئياً من الآبار، والتي تكون في معظم الأوقات ذات فم واسع - في بعض الحالات يصل قطرها إلى (٢٠) قدماً - مع وجود حاجز غير ثابت من الحجارة لحجز الطمي عن حفرة البئر، والذي بعد عمق أقدم قليلة يخترق الجرانيت التحتي ليصل إلى الماء الذي يوجد عند عمق

ثلاث قامات فقط من عند السطح. يسمى أحسن آبار المقاطعة دويحاً^(١) ويبعد حوالي (٣٠٠) ياردة من قصر أبي ملححة الرئيس.

كانت المسافة التي تفصل ذهبان عن العرق - وكلاهما على الجانب الأيمن - حوالي ميل ونصف الميل، ويجري المجرى بينهما ناحية الشمال الغربي. كما توجد بينهما على الجانب نفسه قرنتان صغيرتان هما: آل عزيز قريبة من البئر الأولى، ودويح - قصر منفرد بجوار البئر - قريباً من البئر الثانية، وتقع أسفل قرنتان صغيرتان على الجانب نفسه هما: شباعة ومصلوم، كما تقع قرنتان صغيرتان وكلاهما يسمى الصنفق وأسفلهما قليلاً قرية المثناة كلها مكونة مجموعة من ثلاث قرى وكلها على الجانب الأيسر في مقابل ذهبان. توجد أسفل هذه ومقابل العرق قرى أخرى هي: آل قصال، والدرب، وقمبر، الأولى صغيرة، والأخيراتان متوسطتا الحجم وتوجد بينهما أرض مكشوفة، هي موقع سوق الخميس. توجد قرية ثالثة صغيرة تسمى الصمدة بجوار مكان السوق^(٢) - ولكن على الجانب الأيمن - ولكنها مدمرة. كما توجد مع اتجاه مجرى الوادي من هذه المجموعة من القرى، وأيضاً على الجانب الأيسر قرية آل هميلة مقابل شباعة ومن ورائها الغرابة حوالي (٣٠٠) ياردة أسفل منها، وقرية طيب الاسم إلى الخلف وراء آل هميلة. يتحد وادي عتود وهو رافد لبيشة مع بيشة بين الغرابة - على الجانب الأيمن لوادي

(١) واسم هذه البئر: - بئر أم الدويح، وهي أشهر بئر للمياه عالية العذوبة في خميس مشيط، وهي معروفة ومشهورة، وقد تم طمرها وردمها بعد أن أصبحت في تنظيم المدينة وسط أحد الشوارع الرئيسة، وبعد أن تلوثت مياهها وأصبحت غير مناسبة للاستعمال. (مقابلة مع الأستاذ/ إبراهيم محمد فائع الألمعي) (ابن جريس).

(٢) الصمدة: - أقدم قرى الخميس، وكان يقام فيها السوق الأسبوعي، وتشير بعض الروايات إلى أنها كانت مقر السوق منذ عهد بعيدة، ولها اسم آخر هو: - (الزويراء) (مقابلة مع إبراهيم فائع الألمعي) (ابن جريس).

عتود - وطيب الاسم على الجانب الأيسر، ويقع أسفل هذه أبو سليك وهي مجموعة نخيل واحدة عند منحنى مجرى بيشة من جهة الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي. توجد قرى صغيرة مبعثرة على امتداد وادي عتود أيضاً - هي الخلصة بعيداً في اتجاه أعلى الوادي، وعلى بعد ثلاثة أميال عن العرق وتكون قرى العطفة، وآل راشد، ومشرف، وآل الزعك، وشعابة كلها أسفل منها في هذا الترتيب.

تتكون منطقة خميس مشيط، بناءً على هذا، من (٢٠) قرية وعدد من القرى الصغيرة. تشتهر الخلصة بأنها موقع قديم لكنني لم أقم بزيارتها. كما علمت عن عدد من القرى، أسفل أبو سليك وهي أكثر القرى انخفاصاً، وقرى صغيرة، في وادي بيشة منتشرة فوق مسافة من خمسة أميال إلى (٢٥) ميلاً أسفل العرق. وهي والجنفور - ويسكنها بنو منبه من بني مالك من عسير-، معامل -لبنى بجاد شهران- ورشيدة، وأهل بشور، وظرافة، وأهل الشال، وشرقة، وقريرة -كلها أراضى الذرة الصفراء التابعة لشهران-، ثم شفان -رقعة مزروعة نخيلاً- ومعها بتات ومعامل أخرى غير السابقة يقعان أسفلها. ومن القرية الأخيرة إلى واعر بالقرب من ملتقى هرجاب - بيشة، فإن الوادي -كما يقولون- خالٍ من القرى وهي مسافة يومين بالجمال أو حوالي (٥٠) ميلاً.

رافقت عبدالوهاب في اليوم الخامس عشر من يونيو، بعد عودتي من أبها، وبعض رجاله في جولة في الجزء الأعلى للوادي فوق ذهبان وقد رغب بصفة خاصة أن يريني هضبة معينة تسمى حمومة يعتقد أنها موقع لكنز مخبأ. استمتعت تماماً ببليتي في العراء المكشوف على أرضية درس الحبوب في العرق، بعد أن كنت أنام داخل المنازل طيلة إقامتي في أبها، وأن أجد نفسي بعد هذه الليلة المريحة وقد

تقوى جسمي بوجبة إفطار ممتازة من خبز وبيض ولبن وتمر، وبعدها بدأنا مغامرتنا عند الساعة السابعة والنصف صباحاً. وصلنا إلى الجانب الأيمن للوادي، بعد مغادرتنا لقصر سعيد بن مشيط بمسافة نصف الميل، حيث تنتهي مزارع ذهبان عند نقطة التقاء شعيب ذهبان مع بيشة حوالي الميدين من القصر في اتجاه أعلى الوادي. وصلنا فوراً إلى مجموعة من ثلاثة أو أربعة قصور تسمى الوقواق بعد أن انطلق ثعلب من بين الصخور عند تقاطع ذهبان، مررنا من وراء مجموعة الوقواق هذه، وعلى بعد ميل واحد، وأيضاً على الجانب الأيمن، قريباً من أكبر قرية، وهي الوقبة ذات القصور العديدة المبعثرة فوق مساحتها الكبيرة المزروعة.

وصلنا إلى الهرير على بعد ميل آخر وقريته الصغيرة على الجانب الأيسر للوادي، وذات عدد قليل من المنازل أيضاً على الجانب المقابل. وعبرنا المجرى بعد ميل واحد آخر، وكان عرض المجرى حوالي (٥٠٠) ياردة، أسفل قرية نعمان مع مساحة مزروعة معتبرة على الجانب الأيسر. وتقع قصور وحقول ذرة الرونة قليلاً بعد ذلك، أيضاً على الجانب الأيسر، وتمتد إلى مسافة نصف الميل على طول المجرى وتنتهي عند رافد شعيب ويسمى أجمال وهو يتحد مع الوادي الذي يقع أعلاه. يهبط هذا السيل من تلال ضمك.

دخلنا منطقة زراعية كبيرة في صفوان على بعد ميلين أو أقل، وهي ذات قصور مبعثرة، تجري فيها حدود قبلية بين شهران - هنا رشيد كما في خميس مشيط - وقحطان (رفيدة). توجد أشجار في قصور الأخيرة وحدائق فيما بينها، بينما تلك التي في شهران فإنها تقوم على أراضٍ لزراعة الذرة الصفراء. كانت نقطة الحدود الفعلية هي قصر يتنازع عليه والذي أمر أهل قحطان بمغادرته قبل

اكتمال بنائه^(١). يتحد عند هذه النقطة وادي بيشة، الذي عبرناه الآن لنزور تل حمومة، مع شعيب عنقة ويرتفع إلى حوالي (٢٠٠) قدم أعلى من خميس مشيط. يقف تل حمومة على مثل هذا الارتفاع فوق مستوى السهل قليلاً إلى الخلف من الجانب الأيمن لبيشة وقد كشف لنا عن منظر يثير الإعجاب لمرتفعاته العليا.

كانت قمة بركان القرن واضحة ناحية شمال الشمال الشرقي، بينما تقع تلال القعمة ناحية الشرق وتقع الأراضي المرتفعة لسلسلة الأحد ناحية الجنوب الغربي. كانت جبال عسير مرئية لنا من خلال حجاب من الغيوم. ويقع أمامنا ناحية الجنوب سهل واسع من رمال جرانيتية متموجه عارية صعبة، يخترقها وادي بيشة متجهة إلى موقعنا ليقابل عنقة الهابط من الشرق وشعيب آخر هو شعيب البغث من ناحية الغرب. كانت أقصى نقطة في وادي بيشة نستطيع رؤيتها، تبعد حوالي خمسة أميال في تجويف واسع في سلسلة جبال الأحد حيث تنحدر مارة بأرض مرتفعة تسمى (المربع) بارزة؛ لتعبر إلى الجانب القريب من خلال المضيق توجد فيه قريتا القرحاء وميسرة - وكلاهما يتبع ابن هيف من قحطان^(٢). توجد قرى آل قفيع (أو ضاعي رفيده) وبني تميم وآل مضر وكل هذه على الجانب الأيسر، وتقع آل بريد على الجانب الأيمن مقابل القرية التي ذكرت أخيراً وتتقاسم معها شرف

(١) لقد زالت هذه الحواجز بين القبائل في العهد السعودي الزاهر، وأصبح المواطن السعودي يتحرك ويستثمر ويسكن في أي مكان يرغب الاستقرار فيه دون عوائق. أما القصر المذكور في المتن فهو معروف في المنطقة، ويعود إلى رجل اسمه مسفر بن قعصوم، وقد تم الصلح حول هذا القصر وتم إكمال تشييده. (مقابلة مع سعيد بن جفشر طالب الدراسات العليا بقسم التاريخ جامعة الملك خالد) (ابن جريس).

(٢) صحة العبارة هي: - «من خلال قريتي المضيق والقرحاء واللتين تتبعان آل ميسرة من قبيلة جارة، وجميعها تتبع ابن هيف وهم من رفيده قحطان» (ابن جريس).

إقامة السوق المحلي، الذي يقام يوم الأحد، وبسبب هذا فإن الموقعين يسميان محلياً (سوق الأحد). يوجد موقع السوق الفعلي على الجانب الأيسر بين آل مضر وسلسلة منخفضة، ويبعد أكثر من ميل واحد بقليل، من حمومة التي تمر من خلالها الحدود بين قحطان - شهران من القصر المتنازع عليه الذي ورد ذكره سابقاً.

تتجمع كل هذه القرى من هذا الخط الحدودي إلى آل قفيح تحت اسم بيشة ابن سالم، وتسيطر على نفوذ حسين بن صمّان بن سالم من ريفدة. تشتمل هذه المنطقة على مساحات واسعة لحقول الذرة الصفراء لآل ضاعي مع قصور مبعثرة من حولها. توجد قريتان في شعيب البغث تبعدان حوالي ميلين من حمومة وبالذات عند ملتقاه مع شعيب مخش، وهما تابعتان للمراغة التي يدخل من أسفلها البغث إلى بيشة بالقرب من قرى السوق. كانت القرى الصغيرة في شعيب عنقة هي: ألبة (بني قيس)^(١)، ودرب العقيلة^(٢) (بني قيس) ولزمة (آل الشواط) وكلها على الجانب الأيسر، تقع الأخيرة على مسافة ميلين من حمومة وتقع القابل مقابل درب العقيلة (على الجانب الأيمن).

هكذا كانت القرى في هذه المرتفعات العليا لوادي بيشة، والتي بناء على ما أوردته مصادر إخباري تنبع من البعيد إلى الجنوب من الجبال (تسمى الشعف) التابعة لقسم آل دحث التابعة لريفدة^(٣) - على مسافة رحلة يوم كما قالوا، لنقل

(١) بني قيس من ريفدة قحطان ومشختهم في ابن صمان. (ابن جريس).

(٢) درب العقيلة: - واسمها مشهور عند الناس بدرب العقيدة، وهي قرية تنبع محافظة أحد ريفدة. (مقابلة مع إبراهيم فائع الألمي) (ابن جريس).

(٣) لا يوجد مكان بهذا الاسم، وربما أنه حصل عليه التغيير في العقود الماضية. والشعف تسكنه عشائر من قبائل جارمة وخطاب الفحطانية، وهو يعرف باسم عام هو: (شعف جارمة). (مقابلة مع سعيد جفشر) (ابن جريس).

(٢٠) ميلاً. لينحدر شعيب عنقة أيضاً من سلسلة جبال السراة عبر وادي الأبيض. وتوجد بركة كبيرة لمياه السيول أسفل الربة وعلى الجانب القريب من سد الصعب وهي من مواد بازلتية.

اتضح لي أن قصة الكنز المخبأ في حمومة ما هي إلا خرافة، وبعد فحص دقيق للمكان، تقدمت برأي «كخبير» بأنه لا يوجد مكان في التل (وهو من صخور بسيطة) يمكن إخفاء كنز فيه. عبرنا مجرى بيثة، بعد ذلك، مرة أخرى في منطقة تابعة للضاعي إلى أعلى من موقع عبورنا السابق، ووصلنا إلى تل آخر منخفض تحيط به بقايا قلعة قديمة، مبنية بمتانة من حجارة جرانيتية كبيرة ومشذبة بعناية. تغطي مساحة كبيرة منها بقايا لبانٍ قديمة مهجورة، ممثلة لمستوطنة أكبر من أية مستوطنة أخرى في الموقع أو قريباً. وجدنا من بين هذه حجر رحى ضخماً ساقطاً على الأرض، منحوتاً من صخرة جرانيتية، كان قطره (٣، ٦٩) بوصة وقطر ثقبه المركزي (٤، ١٠) بوصة. كانت هذه الأطلال -وبكل وضوح- التي لا يعرف الناس أي شيء عن تاريخها هي التي أطلقت القصة الشائعة عن الكنز المخبأ^(١).

تناولنا غداءنا في موقع ليس بالبعيد من هذه الأطلال، تحت أجمة أشجار طلع جميلة، متوسطة الحجم، والتي وجدت فيها لدهشتي، عدداً كبيراً من طيور نقار الخشب، كان نقار خشبي الخاص - بالمناسبة - تابعاً لجنس جديد وقد اكتشفته

(١) الموقع الآن أنقاض بلدة جرش التاريخية، وهي مشهورة لدى أهل المنطقة، والرحى لا تزال في موضعها إلى الآن. ولمزيد من التفاصيل عن تاريخ وحضارة مدينة جرش، انظر: غيثان بن جريس. «تاريخ مخلاف جرش «عسير» خلال القرون الإسلامية الأولى» مجلة العصور. مج (٩) ج (١) (رجب / ١٤١٤هـ / يناير / ١٩٩٤م) ص ٦٣ - ٧٨. (ابن جريس).

لأول مرة بالقرب من الطائف وأيضاً في عشيرة. كان من المثير لي أن أجد هنا في هذا المكان البعيد ناحية الجنوب، غير أننا لسنا عند حدود انتشاره الجنوبية بعد، كما أمكنني أن أتأكد من ذلك في وقت لاحق في هذه الرحلة. كان هذا الطائر أعظم اكتشاف لي في التاريخ الطبيعي خلال رحلاتي في الصحراء. ومن المدهش أيضاً وجود نقار الخشب في الجزيرة العربية، كانت اليمامة اليمانية وآكلات النحل، أيضاً متوافرة، وكذلك الطيور النساجة وأعشاشها الجميلة المتأرجحة والطيور الثرثارة. تمكنت أيضاً من الحصول على صائد الذباب. ورجعت وزملائي إلى منزل أبي ملحة بقناعة كبيرة، بأن هذه النزهة كانت مثيرة بصورة غير عادية.

أقمنا في موقع المعسكر نفسه كما فعلنا من قبل، حين عودتنا من أبها عند غروب الشمس في اليوم السابق، غير أن عبدالوهاب كان قد سبقنا في هذه المناسبة، وأعد لنا مأدبة محترمة. فقد نشرت لنا ملاءة طاولة بيضاء كبيرة على أرضية غرفة الاستقبال الكبيرة وعلى حافتها تم ترتيب الخبز المحلي المسطح المصنوع من القمح بالتبادل مع أوصال لحم الضأن. امتلأ وسط هذا القماش بزخم كبير من قحاف^(١) وسلطانيات محتوية على ما لذ وطاب، صحون من أرز في شريط مركزي وقد انغرزت ملعقة كبيرة في قلب كل واحد منها، وكانت هناك أطباق مملوءة بكميات كبيرة من السمن المستخلص من إليات الضأن - طعام شههي لم أستلطفه بالمرّة- وسلطانيات تحتوي على قطع دجاج في حساء، وسلطانيات مملوءة بالخضراوات، وصحون من حلوى مختلطة مثل المهلبية وكعكات محلاة مقلية بالزيت (لقيمات) لقد كانت وجبة سخية، بالتأكيد.

(١) أعتقد أنه يقصد بكلمة (قحاف) أي (صحاف) وهي آنية تصنع من الخشب ويوضع فيها الطعام وبخاصة العصيد المصنوع من حبوب الحنطة أو الذرة أو الدخن. (ابن جريس).

ناقشنا بعد تناول القهوة شؤون الدولة وأموراً خاصة عائلية، علمت - الآن فقط - أن عبدالله أكبر أبناء عبدالوهاب الثلاثة - وعمره (١٦) عاماً - متزوج. ليس هذا فقط، بل إن والده كان مشغولاً في بناء قصر آخر، إلى الغرب من قصره، ليشغله ابنه الثاني وعمره (١١) عاماً بمناسبة زواجه الذي يتوقع أن يتم في المستقبل القريب. لاحظت أنه، في هذا القصر الجديد، كما في العديد من القصور القديمة، فقد تم استخدام شرائح من الخيزران على فترات في البناء القائم على طوب اللبن، ربما لأغراض اللصق، برغم أن التأثير العام كان للزينة. كانت أساسات هذه القصور والأجزاء التحتية من بلكات من الصخور، بينما كان البناء الفوقي مستنداً عند أرضية عريضة إلى قمة عليا، أيضاً من الطين واللبن^(١).

يجب أن أذكر زيارة قمت بها إلى أبها في الحادي عشر من يونيو، لأكمل وصفي لخميس مشيط، لغرض مستعجل وهو رؤية سوق الخميس. وبالمناسبة، لزيارة سعيد بن مشيط الرئيس الإسمي لقبيلة شهران. أعارني أمير أبها سيارته لهذا الغرض، واستغرقت رحلتنا قليلاً فوق الساعة الواحدة لتغطي مسافة (١٨) ميلاً فوق الطريق الصعب المتعرج الذي يصل بين الموقعين. قدنا السيارة مباشرة إلى قصر سعيد بن مشيط، ولكننا وجدناه قد خرج، وذهب إلى السوق، حيث تبعناه. وجدناه في منزل عادي يمتلكه في قرية الدرب، عاقداً مجلسه، الذي

(١) ولزيد من التفاصيل عن أنواع العمارة في منطقة عسير، وطريقة تشييدها، انظر: غيثان بن جريس «العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)». مجلة المنهل، العدد (٥٧١) مج (٦١) العام (٦٦) (شوال - ذي القعدة / ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص ٢٦ - ٤٩. كما نشرت هذه الدراسة في كتاب لابن جريس بعنوان: - بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر. ص ٣٣ - ٧٦. (ابن جريس).

يحضره أي شخص، خاصة من لهم مظلمة ليعربوا عنها، وذلك خلال فترات التسوق. كان معه ابنه الأكبر، حسين، وعمره (٢٠) عاماً، وأكبر أشقائه السبعة، وهو شاب جميل المحيا، متجهم الوجه قليلاً تكذبه جاذبيته التحتية. كان بحق، ذا ميل لأن يكون ودوداً ومعه كل الثقة بالنفس لأن يكون أرسقراطياً بالميلاد. يبدو لي أنه سيكون شاباً واعداً.

كان والده -كما كان عبدالوهاب- ذا سمات سامية مبالغ فيها إلى حد ما -أو على الأقل مؤكدة في هذه الحالة- بلحيته الطويلة المتجهة إلى الأمام. جاء سلفه مشيط إلى هذه المقاطعة من بلاد جنوب قحطان (سنحان)، حوالي نهاية القرن الثامن عشر واحتل هذا الجزء من وادي بيشة بالقوة. كان هو وأسرته، وحتى إلى أزمان حديثة حقيقة حتى ضم مرتفعات عسير بواسطة قوات السعوديين تحت قيادة الأمير فيصل بن سعود^(١) في عام ١٩٢١م، في انشغال مستمر بالحروب والثأر مع ربيعة وأقسام أخرى لقحطان، وقد لقب والده بالباشا مع بدلات مالية من الحكومة التركية لخدماته التي ساعدت على السيطرة على هذه البلاد الصعبة المراس أثناء الاحتلال التركي والذي انتهى فقط نتيجة للحرب العظمى.

كانت إجراءات السوق مملّة، برغم وجود جمهور من (٥٠٠) فرد كلهم فيما يبدو كان مشغولاً بالبيع والشراء وكلهم يبسون في سعادة. وقد خصص قسم منفصل من السوق لكل بضاعة، في مساحة تسمى «مناخ» أو «أرض المعسكر» والتي استضافت في عام ١٩٢١م و ١٩٣٤م بالتتالي جيش الأمير فيصل والأمير

(١) لمزيد من الإيضاح حول دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز، وكيف استطاع الأمير/ فيصل ابن عبدالعزيز دخول مدينة أبها عام (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م). عبدالله العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية، ح-٢ ص ١٧٨ - ١٨٠. (ابن جريس).

سعود، خلال مرورهما عبر خميس مشيط. تعرض كل البضائع للبيع في الأرض المكشوفة، غير أنني لاحظت أن البضائع التي تباع بالقطعة، وما يباع لدى البقالات كانت توضع في أكشاك^(١) وكانت مغطاة بمظلات منخفضة.

سجلتُ بعض الأسعار التي كانت سائدة للفائدة وقد كانت كلها بالتأكيد على الجانب الرخيص. ثمن صفيحة تمور عبوة أربعة جوالين -مستوردة من خير أو بيثة- أو سلة قصب (حفص) ذات حجم مشابه، ما بين (٥, ٢) إلى (٣) ريات (ماريا تريزا). كان سعر القمح وزن (٦) أو (٧) أصوع للريال الواحد، والدخن (٦-٨) لأجل التقاوي، بينما كان الشعير عند (١٢) وسعر البن رياتان للصاع الواحد -كان قشر البن ثلاثة أصوع للريال الواحد-. وكانت الصمعاء -وهي حبوب برية تؤكل، شبيهة بالسسم-، تباع بسعر (٧) ريات للصفحة عبوة أربعة جوالين. كان سعر الضأن ثلاثة ريات والثور أو البقرة عند (٢٠) ريالاً والجمال عند (٤٠) ريالاً.

دعاني سعيد وأخوه حسين مباشرة بعد الظهر لتناول وجبة الغداء معهما في قصرهما في زهبان، الذي كان أكثر رفاهية من قصر عبدالوهاب. كانت الغرف التي شاهدها بما في ذلك غرفة الاستقبال الرئيسة، مزخرفة بإحكام بالطراز العسيري للفن، بأنماط هندسية بالحبر، قام بتنفيذها النسوة كما هي الحال في أي مكان آخر. كانت الحديقة أيضاً أكبر بكثير من حديقة عبدالوهاب، وقد استمتعت باستراحة ما بعد الظهر في ظل أشجار فاكهتها الكثيفة، وأحضرو لي بعدها صحناً

(١) الأكشاك ومفردها (كشك)، وهي دكاكين من الخيش تقام يوم إقامة السوق ثم تطوى وترفع لإقامتها واستخدامها في الأسبوع القادم. (ابن جريس).

من ثمار التين الشوكي (برشوم) باكورة إنتاج الموسم غير أنها كانت ليست في أحسن حالها، ولكنها مقبولة بما فيه الكفاية. تركت المنزل المضيف عند الساعة الخامسة مساءً، لأعود إلى أبها، التي وصلتها مباشرة بعد الغروب. كانت خميس مشيط تجربة لذيذة. واحة عظيمة بلا أشجار النخيل، يسكنها أناس بسطاء ودودون، ذوو كياسة لافتة للنظر. تقع إلى ما يليها، تلك المرتفعات الأسطورية لعسير، وعاصمتها أبها، التي لم ترها أعين الأوروبيين بعد.

